بطعم ولون الرمان

مُنذ أن خلق الله الخليقة، كرّم الإنسان، وعرفه البيان، واستوطن فيه روح العطاء، وحب العمل المتقن..

فلا يوجد بين ظهرانينا من يُجلل نفسه بالكمال والذكاء الراجح، ومن حوله أغبياء، إلا صاحب مرض بالجهل الواضح والمركب بالتبعية واستجداء المديح!

نعم، كُنه الإنسان بوجود روح العطاء وطين النماء، لزراعة الأشجار المثمرة، وإن لم تُعطنا من نبضها المخضر، لن تحرمنا من ظلها الوارف حتى في الجفاف واليباس..

لأن صاحب اليقين هو من يصنع الألقاب أمام اسمه لا العكس كما هو الرمان..

فهل رأينا أحد العظماء تأرجح فوق المُسميات والأوسمة ونحوها؟

من هنا دعونا نتحدث عن الإبداع، وعلى ماذا يعتمد؟

وهل هو ينحصر ـــ أي الإبداع ـــ على عمرٍ معينٍ أو فئة معينة؟

فالإبداع هو إيجاد الشيء من لا شيء، وإثبات الشيء من العدم إلى الوجود بأبسط الأمور، وجُلّ الوجود ابتسامة الثقة، وجموح الخيال، وتحدي الذات أمام قارعة المارة بالثبات..

فامنح نفسك الفرصة أيها الطالب/ـــة المُحلق، والمُعلم المؤثر، والكاتب البارع، والمُصور الواثق، والرسام المُميز، والطبيب الحاذق، والقائد الأمين، والمُخرج الفنان، للعمل الجاد، لا بالتسويف والتربيت على أكتاف الجدران، والسواعد السمراء، والأيادي المُفطرة..

وما أجمل تلك الاتصالات التي تتصل بك بأوقات مُتفرقة، فوق عقارب الزمن ونهاية الوهن، لتشكل الأطياف وزراعة المطاف..

فالآباء عنوان ثباتهم، والأمهات بداية رشادهم، فهم الأولى بالفخر القريب لإضاءة المنار بين هذه الومضات القصيرة والمُختزلة:

ـــ ثق بنفسك جيداً، ولا تراهن على أحدٍ كان هنا أوهناك إلا بالتحفيز.

ـــ أصقل مسامعك ونواظرك بالقراءة والمتابعة لجميع الفنون والأقطاب؛ كيما يشتد عودك، وتُجلل نهوضك في كل الميادين.

ـــ تأمل مُحيطك ونشاطهم بصمت، وعلى وجه الخصوص أصحاب الحقيقة لأزاميل جبال الهمم ونحت مُجسمات القمم.

ـــ توغل في سير العظماء الإنسانية المكتوبة، والتقريرية المصورة حسب الوسائل المتاحة.

ـــ دون سيرتك ومسيرتك دون استجداء أكف الإلحاح أو غلو الألقاب.

ـــ تأكد بأن ما تكتبه اليوم ربما لا تؤمن به في الغد؛ فاجعل من نواظرك مكتبة، وبين أدراج أضلاعك نبضات الاطلاع لكتابة رأيك في الهوامش والمسوّدات.

ـــ لا تجعل نفسك بوقاً دون وعيٍ (بالرتويت، وامدحني وامدحك).

ـــ اطمئن بأن الأفواه الموبوءة ستلاحقك، فابتسم (بالطماشة).

ـــ راهن على إيمانك با (عز وجل)، ودعاء أهلك، فهم سندك بأثر الفخر ومفاخر التأثير في الحاضر والمستقبل.

ـــ تأكد بأن أريجك وعبقك سيخنق الظواهر الصوتية، والعاجزة عن وضع نفسها محلك إلا بعدوى التكتل (والشللية) والتعبئة والتشدّق.

ـــ تأمل عُمرك القصير، ووجودك الكبير؛ فعنوان النص اسمك، ومقام الحضور رسمك يا مبدع/ـــــة.

ـــ راهن على ريحان وعيك ومالك، وجورية فكرك للعطاء، واجعل الأشواك تحرسك، وطعنات رماح الغيبة تدفعك إلى الأمام.

ـــ كلما استحضرت ذاكرتك ستضحك وتسخر وربما تحزن، ولذلك اجعل من الشارة عنوان الإشارة.

ـــ تأمل سيرة الأنبياء والرسل، فستجد مقامك على الدوام بالرفعة والمكانة والإيمان.

ـــ لا تُفرط بإعجابك دوماً؛ لأن بتوحد المصالح تتابع الخطى، وتكثر ألسن الأعذار والمبررات.

ـــ كن بإنجازك قدوة لأهلك وعيالك وأحفادك، فأنت شمعة طريقهم باختصار مسافة أعمارهم الإبداعية والإنتاجية بإذن ا.

ـــ كم هو عمرك الآن؛ وراتبك؛ ومتى أظهرت نفسك؛ وما الفرق بين عقلك وعقول الناس من حولك؟

ـــ لا توجد مُساومة بين أحدٍ، طالما المال من جيبك، وصحيفتك ظاهرة وفق الضوابط ورهان الدار صنع القرار يا أخي وأختي عند دور النشر والتوزيع.

ـــ استشر لإبداعك المُختبئ أهل القمم وصناع العزم، فستضحك من هول مديح مصارف التملق يوماً ما؛ ساعة وصولك للضفة المرجوة.

ـــ جمالك بوعيك وفكرك، لا بهواتف العملة وسيارات الأجرة من حولك.

ـــ اجعل من حضورك بوصلة، ومن اطلاعك كعبة فوق سرج البراق، وملامسة زغب الملائكة، ومُناجاة سدرة المنتهى بالدعاء.

ـــ امتلك فطنة وأمانة ورشاقة بين بعض الكراسي الملغومة، والأسئلة المرسومة، لاستجداء الثناء واستغفال من حضر.

ـــ دع عنك البعض، واستوطن عقول الكل بالتأكيد؛ لأن الحصيلة الثقافية والقناعات الفكرية تتبدل كالملابس ومقاس النظارات.

ـــ البعض منا يُفاخر في معاجز بداياته، فهل يُطعمنا اليوم برؤية مأدبة أول نصٍ نشره وعرّفه بالجمهور؟

ـــ احضر المحافل الأسرية والاجتماعية والفنية والثقافية، كيما تتوسع علاقاتك، فقيمة الأستاذ تلاميذه، والخطيب فيمن يسمعه، والمُنتج لمن يشتريه ويتحصل عليه.

ـــ لا تُثقل حضورك بين أنامل التربص السلبية، لقراءة عناوين الأماسي والمداخلات الصوتية، والقشور السطحية، فعنوان التفاضل التكامل بين جميع المصفوفات وأعداد العشرات والألوف بالإيجابية.

ـــ لا تدعي (الأستذة) طوال حياتك، فسمات أهل القيم والمبادئ التواضع الدائم ونماء الأزهار من حولها.

ـــ بداية كل مفخرة العرض والإلقاء، فلنتخذ من الإذاعة المدرسية عنوانها، ومن نبرة الصوت مآلها، ومن لغة الجسد سياجها، ومن الملامح إنسانيتها وسؤددها.

ـــ عرف بإبداعك في وسائل التواصل الاجتماعي قبل أن تُقْبل على التوثيق؛ فجمال العتمة نورك وشموع الإعجاز سرورك.. من دون توصية لمدحك والثناء عليك بلغة المباشرة أو عبر أفواه الواسطة.

ـــ اجعل إبداعك يدل عليك بالثقة بين أصناف الناس وتوجهاتهم فغاية الأمر الصدق والاحترام والاهتمام.

ـــ ستكثر لقلقة المُصطلح العاجز من حولك، والأكاذيب المُهلهلة نحوك، فاكتفِ بالنظر إليه والتبسم بهذا القول: دون ما قلته في مقالة واضحة وسوف نرد عليها بإذن الله؛ وإياك أن ترد على الأسماء الوهمية والأرقام (الوتسابية) فمآربه غاية ومرضه دراية.

ـــ اعلم بأن ذبياني الهدم ما زال حياً، وطاغور الوهم لا زال سوياً؛ فاجعل حميد من خلفك يدون مسلم

صرير يراعك في الأمانة الإبداعية لا المعارك الصنمية.

ـــ لا تتوقع مساعدتي لك إذا ما رأيت فيك التبعية العمياء، والاستثناء يكون في مُحصلة المصالح المستقبلية بالتعذر إليك، (وأخذ ما بالخاطر) بالولائم المُتفق عليها لأجلك.

ـــ ثق بأنني سأجعل من غروري إليك عقبة بالأمراض وأنواع العقاقير طوال حياتي، وساعة نجاحك سأُخبئ نيتي خلف أقنعة مدحك، واحتلاب شموخك وسموك أمام الجميع.

ـــ لا تتوقع اعترافي بك بين (فلاشات) التصوير إلا بالتنكر، وساعة ما رأيتك في منزل عمي وخالي أو عند الإشارة بالطريق، سألوح لك بيدي، وسأرتمي في حضن التودد إليك كالحمل الوديع؛ بغية التمثيل لرقصة الوزن، ودهشة الحبكة لعباب النثر وردهات القافية..

ـــ لا تنخدع في ثفنات جبهتي، وطول مسبحتي، وتلون خواتمي، وسباقي لأركان العبادة، وانسياب كلامي ورقراق سلامي، ففي خلوتي أعبد الدنيا، والدين لعق على لساني بالكذب والبهتان.

ـــ تيقن من كان ماضٍ فبناء حضوره النسيان في شخصه، وما سرك إلا في الحصيلة السامية بتربيتك وأخلاقك وسلوكك وعفويتك التي تكررها ونكررها دوماً بالسوية.

ـــ الهمسات تطول وتطول، فلا تراهن على ما كتبت إلا بكن أنت ولا تكن غيرك في اتخاذ القرار الصادق بحفظ ا.